



جاذبية الإسلام في تحويل الغزاة الى دعاة (التتار أنموذجاً)

The appeal of Islam in transforming invaders into preachers
(the Tatars as an example)

إعداد

د. عثمان عبدالرحمن عبدالله عثمان

Dr. Othman Abdulrahman Abdullah Othman

الأستاذ المشارك بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية- كلية الدعوة الإسلامية - جامعة
أم درمان الإسلامية- السودان

د. محمد علي محمد علي

Dr. Mohammed Ali Mohammed Ali

الأستاذ المشارك بقسم مقارنة الأديان والدراسات الإستراتيجية كلية الدعوة
الإسلامية - جامعة أم درمان الإسلامية- السودان

Doi: 10.21608/jasis.2025.461334

٢٠٢٥ / ٧ / ٥

استلام البحث

٢٠٢٥ / ٨ / ٣٠

قبول البحث

عثمان، عثمان عبدالرحمن عبدالله و علي، محمد علي محمد (٢٠٢٥). جاذبية
الإسلام في تحويل الغزاة الى دعاة (التتار أنموذجاً). *المجلة العربية للدراسات
الإسلامية والشرعية*، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٩(٣٤)،
٤٨٥-٥١٤.

<http://jasis.journals.ekb.eg>

جاذبية الإسلام في تحويل الغزاة الى دعاة (التتار أنموذجاً)

المستخلص:

تُعنى هذه الدراسة ببيان الجهود الدعوية لسلطين التتار المسلمين الثلاث، (بركة خان- أحمد تكودار- محمود غازان) حيث اقتصرَت الدراسة على هؤلاء كنماذج، ونظراً لطبيعة هذه الدراسة فإن الباحثان استخدمتا المنهج الإستقرائي، والمنهج التطبيقي. استطاع كل من السلطان بركة خان (٦٥٥-٦٦٥ هـ) (١٢٥٧-١٢٦٦ م)، وكذلك السلطان أحمد تكودار (٦٨٣-٦٨١ هـ)، (١٢٨٤-١٢٨٢ م)، وأيضاً السلطان محمود غازان (٧٠٣-٦٩٤ هـ)، أن يعتلوا العرش المغولي وقد ترتب على ذلك إعتناقهم الإسلام و ما أدى لتغيير سلوكهم وأفعالهم، وقاموا بجهود دعوية شاملة في دولتهم تتفق مع الإسلام ، وبفضل جهودهم تمت خدمة الدعوة الإسلامية في هذا الجزء من العالم ، أما السلطان محمود غازان رغم إسلامه فقد سيطرت عليه فكرة مد نفوذه إلى بلاد الشام ومصر، فاصطدم معهم، وقضى فترة طويلة من حكمه في محاربة المماليك حتى تمكنوا من هزيمته. من أبرز النتائج: على الرغم من ترويع التتار للعالم إلا أن أحفادهم تأثروا بالإسلام والمسلمين، وهذه مفخرة للإسلام والمسلمين. السلطان بركة خان طلب أن تُولف له رسالة عن الإسلام تؤكد وتبرهن له بطلان عقيدة التتار والتثليث وترد على المخالفين للإسلام الأمر الذي يعني انه دخل الإسلام عن رغبة. ومراسلة السلطان أحمد تكودار لأهالي بغداد وكذلك السلطان المنصور قلاوون حملة في طياتها رسائل دعوية اسلامية. من جهود السلطان محمود غازان بعد إسلامه جعله الإسلام الدين الرسمي للدولة. يعتبر السلطان محمود غازان من المحتسبين حيث شملت جهوده الدعوية التأثير على الحضارة والأسواق والزراعة والقضاء. من اهم التوصيات: الكتابة تأثير الإسلام في السلطين عبر العصور الإسلامية المختلفة. وأن تراعي الدراسات والبحوث العلمية المحكمة ربط عالم الغيب بعالم الشهادة وهذا من صميم الدعوة والإحتساب.

الكلمات المفتاحية: جهود دعوية، سلطين التتار، السلطان بركة خان، السلطان أحمد تكودار، السلطان محمود غازان.

Abstract

This study is concerned with explaining the advocacy efforts of the three Muslim Tatar sultans (Baraka Khan - Ahmed Tekudar - Mahmoud Ghazan), as the study was limited to these as models. Due to the nature of this study, the researcher used the inductive method and the applied method. Sultan Berke Khan (655-665 AH) (1257-1266 AD), as well as Sultan Ahmed Tekudar (681-683 AH) (1282-1284 AD), and also Sultan Mahmud Ghazan (694-703 AH) were able to ascend the Mongol

throne, which resulted in their conversion to Islam, which led to a change in their behavior and actions. They made comprehensive advocacy efforts in their state that were consistent with Islam, and thanks to their efforts, the Islamic call was served in this part of the world. As for Sultan Mahmud Ghazan, despite his conversion to Islam, the idea of extending his influence to the Levant and Egypt dominated him, so he clashed with them, and spent a long period of his rule fighting the Mamluks until they were able to defeat him. Among the most prominent results: Despite the Tatars terrorizing the world, their descendants were influenced by Islam and Muslims, and this is a source of pride for Islam and Muslims. Sultan Berke Khan asked for a letter to be written for him about Islam that confirms and proves to him the invalidity of the Tatars' doctrine and the Trinity. And respond to those who oppose Islam, which means that he entered Islam willingly. And the correspondence of Sultan Ahmed Tekudar to the people of Baghdad, as well as Sultan Al-Mansur Qalawun, carried a campaign that included Islamic advocacy messages. Among the efforts of Sultan Mahmud Ghazan after his conversion to Islam, he made Islam the official religion of the state. Sultan Mahmud Ghazan is considered one of the Muhtasibs, as his advocacy efforts included influencing civilization, markets, agriculture, and the judiciary. Among the most important recommendations: Writing about the influence of Islam on the sultans throughout the different Islamic eras. And that accurate scientific studies and research should take into account linking the unseen world with the world of testimony, as this is at the heart of advocacy and accountability.

Keywords: advocacy efforts, Tatar sultans, Sultan Berke Khan, Sultan Ahmed Tekudar, Sultan Mahmud Ghazan.

أولاً: مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء والمرسلين النبي محمد عليه وعلى آله افضل الصلاة وأتم التسليم أما بعد:

تُعد فترة وجود الإلخانية التترية المغولية في البلاد الإسلامية من أهم أحداث التاريخ وذلك خلال القرن السابع الهجري والثالث عشر الميلادي خاصة أن لذلك بُعد حضاري إسلامي تمثل في الجهود الدعوية لسلطين التتار المسلمين الثالث، (بركة خان-أحمد تكودار-محمود غازان). وأقبلوا يساهمون في النهوض بالحضارة الإسلامية إثر سقوط بغداد على أيديهم مما أدى إلى إنتقال الريادة العلمية إلى دولة المماليك.

من أبرز النتائج وأهمها، أن الجهود الدعوية لها مشروعية من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وكذلك الإجماع والقياس على حد سواء. كما كشفت الدراسة أنه على الرغم من ترويع التتار للعالم إلا أن جاذبية الاسلام جعلت أحفادهم يتأثرون به وبالمسلمين، وهو مفخرة من مفاخر الإسلام والمسلمين. السلطان بركة خان طلب أن تُولف له رسالة عن الإسلام تؤكد وتبرهن له بطلان عقيدة التتار والتثليث وترد على المخالفين للإسلام الأمر الذي يعني انه دخل الإسلام عن رغبة. ومراسلة السلطان أحمد تكودار لأهالي بغداد وكذلك السلطان المنصور قلاوون حملة في طياتها رسائل دعوية اسلامية. حيث تبين، رسائل السلطان احمد تكودار توضح بجلاء كيف أثر الإسلام في تهذيب طباع سلاطين التتار خصوصاً والمغول المسلمين عموماً. من جهود السلطان محمود غازان بعد إسلامه جعله الإسلام الدين الرسمي للدولة. يعتبر السلطان محمود غازان من المحتسبين حيث شملت جهوده الدعوية التأثير على الحضارة والأسواق والزراعة والقضاء. و بناءً على ما سبق فإن الباحثان يوصيان ، بالعناية التامة في إختيار جهود التتار من الاسهامات العامة في نشر الإسلام والعلماء والمستشارين والفقهاء والكتابة عنهم. الكتابة عن تأثير الإسلام في السلاطين عبر العصور الإسلامية المختلفة. أن تراعي الدراسات والبحوث العلمية المحكمة ربط عالم الغيب بعالم الشهادة وهذا من صميم الدعوة لله تعالى.

ثانياً: أهمية الدراسة واسباب اختيارها:

١. يهتم البحث بإظهار جانب من الجوانب الدعوية لبعض سلاطين التتار.
٢. أهمية جهود سلاطين التتار الدعوية بان انتشر الإسلام في التتار وغيرهم فكانت واجبهم تجاه الدعوة والدعاة ومجتمعهم حتى يعود الناس للدين الحنيف.
٣. سبب إختيار هذا العنوان ما تعيشه الأمة وبيان لحال بعض سلاطين التتار من خلال الحقب التاريخية والفترات المذكورة في عنوان البحث حيث يعتبر جزء من التاريخ الإسلامي.
٤. بيان ما كُتب من أهل العلم عن التتار المسلمين وسلاطينهم خصوصاً وما تقوم عليه هذه البحوث من وظيفة مجتمعية قديماً وحديثاً. هذه الأسباب وغيرها تبين أهمية الدراسة وسبب إختيارها.

ثالثاً: مشكلة الدراسة:

تتمثل الإشكالية المعرفية للدراسة في معرفة مدى الوعي الدعوي في المجتمع الإسلامي تجاه التنثار وسلاطينهم بالمقارنة على ما كان عليه عبر التاريخ الإسلامي السابق والحالي وذلك من خلال طرح عدد من الأسئلة من أهمها :

- ١- من هو السلطان بركة خان، وكذلك احمد تكودار ومحمود قازان ؟
- ٢- هل من بين التنثار أو سلاطينهم دعاة وما الأدلة على ذلك؟
- ٣- ما مدى التأثير الذي أحدثته جهود سلاطين التنثار على الإسلام والمسلمين؟
- ٤- ما أهم ما يميز جهود سلاطين التنثار الدعوية وفي اي فترة كان ذلك الجهد؟

رابعاً: أهداف الدراسة:

ان الهدف الرئيس من هذه الدراسة هو تسليط الضوء على أهم ثلاثة من اشهر سلاطين التنثار الذين اسلموا واثروا اسلامهم على رعيته من التنثار وغيرهم ولتحقيق هذا الهدف فإن الدراسة الحالية تسعى لتحقيق الأهداف الفرعية التالية:

١. بيان جهود اشهر سلاطين التنثار المسلمين والمشروعية التي وفروها في حقهم تجاه الدعوة والدعاة والأمر الذي ادى الى انتشار الإسلام بين التنثار من سلاطين وغيرهم.

٢. تهدف الدراسة الى بيان الفرق اللغوي والإصطلاحي بين مدلول الكلمات: السلطان قازان، السلطان تكودار، التعريف بمصطلح المغول، مفهوم التنثار، الإطار الجغرافي لبلاد المغول، الإلخانية، المنصور قلاوون.

٣. وكذلك التدليل على ان النهج الإسلامي يدل على جاذبية ومثالية ووسطية التشريع الإسلامي والدليل على ذلك انتشار الإسلام وسط اعلى واقسى القبائل وهم المغول التنثار.

خامساً: منهج الدراسة:

ونظراً لطبيعة هذه الدراسة فإن المنهج الذي اتبعه الباحثان فيها هو المنهج التاريخي والتطبيقي، والمقصود بالمنهج التطبيقي تلك الإستراتيجية التي تركز على الكلمات. وذلك بالرجوع الى دواوين التاريخ الإسلامي، واستخراجه على دلالته، واجتهدنا في عزو الآيات والأحاديث الى مواضعها وسورها والأحاديث النبوية.

سادساً: حدود الدراسة:

أ) الحدود الزمانية: عصور كل من السلطان: بركة خان (٦٥٥-٦٦٥ هـ) (١٢٥٧-١٢٦٦ م)، وكذلك السلطان: احمد تكودار (683 - 681هـ) (1282-1284م)، وأيضاً السلطان: محمود غازان (703- 694هـ).

ب) الحدود المكانية: بغداد ومصر (دولة المماليك).

ت) الحدود البشرية: المجتمع التنثري المسلم، المسلمين.

سابعاً: مصطلحات الدراسة:

أ/ السلطان قازان:

محمود غازان أو قازان (الاسم المنغولي الأصلي: غازان، بالمنغولية: Газан، Хасан، بالصينية: 合贊، و. ٥ نوفمبر ١٢٧١ - ١١/١١هـ/ ١٣٠٤) خان التتار كان سابع حكام الإلخانية وهي الجزء الإيراني من الإمبراطورية المنغولية من ١٢٩٥ حتى ١٣٠٤. غير قازان ديانة بلاد فارس المنغولية (أي الإلخانية) إلى الإسلام.

ب/ السلطان تكودار:

السلطان أحمد تكودار بن هولكو خان ثالث سلطان في الدولة الإلخانية وأول إيلخان مغولي يدفع حياته ثمناً لاعتناقه الإسلام ثمانية عشر عاماً تفصل بين موت هولكو وإسلام ابنه تكودار؛ فقد مات هولكو سنة (٦٦٣هـ/ ١٢٧٥م) عن (٤٨) عاماً، بعد أن أسس دولة كبيرة تدعي دولة المغول الإلخانية شملت إيران والعراق وأجزاء من تركيا والشام.

ج/ التعريف بمصطلح المغول:

المُغُول هم شعب شمال شرق آسيوي ومن الشعوب القبلية وثيقة الصلة والتي تعيش بشكل رئيسي على الهضبة المنغولية وتتشارك لغة مشتركة وتقاليد بدوية. وطنهم مقسم الآن إلى دولة منغوليا المستقلة (منغوليا الخارجية) ومنطقة منغوليا الداخلية ذاتية الحكم في دولة الصين وجنوب روسيا.

د/ مفهوم التتار:

التتار هم شعب تركي ينحدر من شعب القفجاق وقبيلة البلغار التركية الذين نزحوا من بلادهم إلى المجر وجزيرة القرم نتيجة الغزو المغولي وليس لهم علاقة تاريخية بالتتار القدماء. الشعوب التركية الأخرى.

هـ/ الإطار الجغرافي لبلاد المغول:

نشأت الإمبراطورية المنغولية عام ١٢٠٦ ميلادي، من قبائل بدوية كانت تقطن أقصى شمال الصين، حتى غدت من أكبر الإمبراطوريات في التاريخ، وامتد نفوذها من المحيط الهادي إلى وسط أوروبا، ووصلت مساحتها ٢٨ مليون كيلومتر مربع، أي ما يقارب ٢٠% من مساحة اليابسة، وسطرت تاريخاً دموياً مرعباً للعالم كله.

و/ الإلخانية:

أسس هولكو دولة "إلخانات المغول في فارس" ومقرها إيران وعاصمتها مراغة، وهي تتبع للإمبراطورية المنغولية اسماً فقط، وما لبث وأن تمددت دولته فشملت ولايات من جنوب القوقاز والعراق وشرق تركيا، وحمل لقب إيلخان هو ومن خلفه ويعني "الخان التابع" للخان الأعظم، واستقلت دولته مع بداية تفتت الإمبراطورية المنغولية عام ١٢٥٩م.

ز/ المنصور قلاوون:

السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي العلاني الصالحي اتلقب بـ "ابو الفتح" و "ابو المعالي". (بالقبطية: 1222 - 10) (نوفمبر ١٢٩٠م). سابع سلاطين الدولة المملوكية ، و مؤسس دولة بني قلاوون. قعد على عرش السلطنة سنة ١٢٧٩ بعد ما عزل سُلامش ابن الظاهر بيبرس.

ثامناً: هيكل الدراسة:

تتكون الدراسة من خطة ومقدمة وثلاثة مباحث كما يلي:

المبحث الأول: جهود السلطان بركة خان الدعوية (٦٥٥-٦٦٥ هـ) (١٢٥٧-١٢٦٦م):

المطلب الأول: التعريف بالسلطان بركة خان وإسلامه.

المطلب الثاني: أهم أعمال السلطان بركة خان.

المطلب الثالث: تفريقه لوحدة التتار الوثنيين وبداية الدعوة ورحيله.

المبحث الثاني: جهود السلطان احمد تكودار الدعوية (683- 681هـ) (-1282 1284م):

المطلب الأول: التعريف بالسلطان احمد تكودار وإسلامه.

المطلب الثاني: تسلم السلطان تكودار الحكم وعلاقته مع جيرانه.

المطلب الثالث: رسالته إلى سلطان مصر المنصور قلاوون ولأهالي بغداد ونهايته.

المبحث الثالث: جهود السلطان محمود غازان الدعوية (703- 694هـ) (١٢٩٥-١٣٠٤م):

المطلب الأول: التعريف بالسلطان محمود غازان وإسلامه.

المطلب الثاني: جعله الإسلام دين الدولة الرسمي.

المطلب الثالث: محالفته للمماليك ومحاربتة لهولاكو والتتار.

الخاتمة وتحتوي على: اهم النتائج والتوصيات وقائمة لأهم المصادر والمراجع.

المبحث الأول: جهود السلطان بركة خان الدعوية (٦٥٥-٦٦٥ هـ) (١٢٥٧-١٢٦٦م):

المطلب الأول: التعريف بالسلطان بركة خان وإسلامه:

أولاً: من هو بركة خان:

هو السلطان العظيم والتتاري الأول ناصر الدين أبو المعالي " بركة خان بن جوجي بن جنكيز خان "حفيد الطاغية الدموي الذي روع العالم في القرن السابع الهجري "جنكيز خان"، وهو أحد سبعة أبناء لجوجي وهم: باتو، أوردا، شوبان، بركة "بطلنا"، جمناي، بركجار، توقاتيمر.^(١)

(١) ابن تغري بردي (أبو المحاسن يوسف)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢م، ص ٢٥١.

وكان الابن الأكبر "باتو" وقد ورث منصب أبيه وأصبح زعيماً للقبيلة الذهبية، وكانت هذه القبيلة أولى قبائل التتار إسلاماً، وأكثرها عطفاً وأدباً مع المسلمين. وبسبب عطف "باتو" على المسلمين في بلاده أخذ النصارى خاصة الرهبان والقساوسة في بلاد المغول وكان لهم دور وتأثير كبير على الحرب المروعة على بلاد الإسلام في تحريض الزعيم الكبير لكل التتار "كيوك بن أوغطاي" لمحاربة "باتو" قبل أن ينتشر الإسلام في كل ربوع الشمال.^(٢)

توفي "باتو" سنة ٦٥٠ هجرية، وخلفه من بعده في رئاسة القبيلة الذهبية ابنه "حرتق" الذي لم يعيش طويلاً حتى توفي وانتقلت الرئاسة لعمه البطل المقدام "بركة خان" وذلك سنة ٦٥٣ هجرية.

دخل بركة خان الإسلام سنة ٦٥٠ هجرية وكان من قبل محباً ومتأثراً بالإسلام بسبب امرأة أبيه "رسالة" وقد التقى "بركة خان" في مدينة بخارى مع أحد علماء المسلمين واسمه "نجم الدين مختار الزاهدي"، وكان بركة عائداً لتوه من زيارة عاصمة المغول "قرة قورم" وأخذ "بركة" في الاستفسار عن الإسلام من هذا العالم المسلم وهو يجيبه بكل وضوح وسلاسة، فطلب بركة منه أن يولف له رسالة تؤيد بالبراهين رسالة الإسلام، وتوضح بطلان عقائد التتار والتثليث وترد على المخالفين والمنكرين للإسلام، فدخل "بركة خان" الإسلام عن حب واقتناع وإخلاص ورغبة عارمة في نصرة هذا الدين.

ثانياً: إسلام السلطان بركة خان:

أما عن الطريقة التي أسلم بها فإنه اختلفت المصادر التاريخية حول كيفية إسلامه، ومن ذلك ما ذكره المؤرخ الجوزجاني^(٣) المعاصر للسلطان بركة خان أنه أسلم في طفولته ولما صار شاباً حفظ القرآن الكريم على يد أحد فقهاء المدينة خوقند^(٤)

(٢) باتو خان (١٢٠٥ - ١٢٥٥) مؤسس القبيلة الذهبية وحفيد جنكيز خان، وأبوه هو جوجي خان.

(٣) الجوزجاني (٢٥٩ - ٣٠٠ هـ = ٨٧٣ - ٩٠٠ م)، إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق السعدي الجوزجاني، أبو إسحاق: محدث الشام وأحد الحفاظ المصنفين المخرجين الثقات. نسبته إلى جوزجان (من كور بلخ بخراسان) ومولده فيها. رحل إلى مكة ثم البصرة ثم الرملة وأقام في كل منها مدة. ونزل دمشق فسكنها إلى أن مات. له كتاب في (الجرح والتعديل) وكتاب في (الضعفاء) وقال ابن كثير: له مصنفات منها (المترجم فيه علوم غزيرة وفوائد كثيرة)، نقلا عن: الأعلام للزركلي.

(٤) خوقند: مكمن بلاد التتار على معاملة خانات خوقند. خويه: من أذربيجان، على معاملة العباسيين. خيقوق: من خوارزم، على معاملة خانات خويه. كما تطل وبخارى وخوارزم إضافة إلى بلاد الطاجيك وبلاد التركمان وبدؤوا بخانية خوقند التي أصبحت منعزلة عن

والحقيقة أنه اجتمعت عدة عوامل في تحول هذا الخان المغولي إلى الإسلام لعل أبرزها عاملين أساسيين، أولهما الطرق الصوفية التي ساهمت بشكل كبير في نشر الإسلام وبقائه في مناطق وسط وجنوب آسيا خاصة بعد الغزو المغولي، وثانيهما القوافل التجارية ودورها في الدعوة إلى الإسلام، لذلك فإن الروايات حول الطريقة التي أسلم بها السلطان بركة خان انحصرت أغلبها بين دور كل من العلماء الصوفيين والتجارة في تحويله إلى الإسلام.

أورد المؤرخ بيبرس المنصور الداودار في روايته عن إسلام بركة خان أو أن أحد شيوخ الطريقة الكبرى^(٥) وهو الشيخ سيف الدين البخارزي^(٦) الذي كان قائماً على زاوية في مدينة بخارى أرسل تلميذاً لع يدعى الشيخ خادم إلى بركة خان، فاجتمع به ووعظه وحسب إليه الإسلام فأسلم على يديه، ثم توجه بركة خان بنفسه إلى زاوية الشيخ ليجدد إسلامه على يديه فالتقى به وعاهده على أن ينشر الإسلام بين قومه.^(٧) هو أول من اعتنق الإسلام من أحفاد جنكيز خان ومن الأسرة المغولية كلها، كما أن حبه للإسلام وإعتناقه له دفعه لنشره بين قومه وبين كامل مملكته، واليه يعود الفضل في انتشار الإسلام بين الشعوب المغولية والتركية في مناطق واسعة.^(٨)

الخانييتين الأخريين ففرضوا سيطرتهم عليها عام ١٢٩٣ هـ ثم اتجه الروس إلى خانية بخارى ففرضوا سيطرتهم عليها عام ق على:

(٥) طبقات ناصري للقاضي منهاج السراج الجوزجاني (كتبه سنة ٦٥٨ هـ) ترجمة ج ١ | عفاف السيد زيدان ، ترجمة ج ٢ | ملكه علي التركي ، المصدر (جزءان) ، الطبعة الأولى ، المركز القومي للترجمة ٢٠١٣م، ص ٢٢٦

(٦) الإمام القدوة شيخ خراسان سيف الدين أبو المعالي سعيد بن المطهر بن سعيد بن علي القاندي البخارزي نزيل بخارى. كان إماماً ، محدثاً ، ورعاً زاهداً ، تقياً ، أثرياً ، منقطع القرين ، بعيد الصيت ، له وقع في القلوب ومهابة في النفوس . صحب الشيخ نجم الدين الخيوقي وسمع من المؤيد الطوسي وغيره ، وبغداد من علي بن محمد الموصللي ، وأبي الفتوح الحصري ، وإسماعيل بن سعد الله بن حمدي ، ومشرف الخالصي ، وبنيسابور من إبراهيم بن سالار الخوارزمي.

وقيل : إنه قدم بغداد وله إحدى عشرة سنة ، فسمع من ابن الجوزي ؛ فإنه ولد في تاسع شعبان سنة ست وثمانين .

(٧) الداودار بيبرس المنصور، مختار الأخبار في تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك ،ابوبكر بن عبدالله ابن أبيك ،(٧١٣هـ)، كثر الدرر وجامع الغرر، تحقيق: هانس روبرت ويمر، مصادرة التاريخ مصر الإسلامية، القاهرة ١٩٦٠م، الجزء الثامن، ص ٢١٨

(٨) حمدي . حافظ ، الدولة الخوارزمية والمغول ، دار العلمية للطباعة والنشر، مصر : القاهرة، ١٩٩٧، ص ٢٤٢.

المطلب الثاني: أهم أعمال السلطان بركة خان:

أولاً: أهم أعمال بركة خان:

لم يكن دخول "بركة خان" الإسلام كدخول أحاد الناس، بل دخل الإسلام بطلاً ملكاً سلطاناً لقبيلة تتارية، والتتار هم كابوس مفزع لكل البشرية عموماً وللمسلمين خصوصاً، لذلك جاءت أعمال هذا البطل العظيم على نفس المستوى الفائق من المسؤولية والقيادة، وتحول هذا السلطان الوثني إلى جندي من أخلص جنود الإسلام، شديد الحب والتفاني في نصرة الدين وأهله وضرب أروع الأمثلة في الولاء والبراء، وهذه طائفة من أهم أعمال بركة خان في نصرة الإسلام.^(٩)

ثانياً: مبايعة خليفة المسلمين:

بعدما أعلن بركة خان إسلامه كان أول ما فعله أن أرسل ببيعته للخليفة العباسي "المستعصم" ببغداد، وهذا الإجراء رغم أنه بسيط وبه كثير من الشكليات لأن خليفة المسلمين وقتها لم يكن له أي نفوذ حقيقي إلا على مساحة ضيقة من الأرض، إلا أنه يوحى بولاء "بركة خان" للسلطان المسلمين وانضوائه تحت جماعة المسلمين.

ثالثاً: إظهار شعائر الإسلام:

بعدما اعتلى "بركة خان" رئاسة القبيلة الذهبية أخذ في إظهار شعائر الإسلام، وكانت مندثرة في بلاد التتار منذ أيام جنكيز خان الذي كان يقتل من يجهر بتلك الشعائر شر قتلة، وقام بركة خان بإكمال بناء مدينة "سراي" وهي مدينة سراتوف الآن في روسيا على نهر الفولجا وجعلها عاصمة القبيلة الذهبية وبنى بها المساجد والحمامات ووسعها جداً حتى صارت أكبر مدن العالم وقتها وجعلها على السميت الإسلامي الخالص.^(١٠)

رابعاً: غيرته على المسلمين:

نظراً لأن بركة خان قد دخل الإسلام بحب واقتناع وإخلاص، فلقد جمعت معاني العقيدة الصحيحة، ومقتضيات "لا إله إلا الله" في قلبه وجاءت ردود أفعاله وغيرته على الإسلام والمسلمين لتذكرنا بموقف الصحابة رضوان الله عليهم والرعيل الأول من سلف الأمة، فقد كان بركة خان شديد الغيرة على الإسلام والمسلمين.^(١١)

(٩) سليمان بن حمد العودة، كيف دخل التتار بلاد الإسلام، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٣، الرياض، ٢٠٠٠، ص ١٤٧.

(١٠) م م الرمزي، تلفيق الأخبار، وتلفيق الآثار، في وقائع قازان وبلغار وملوك التتار، تحقيق: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ٢٠٠٢م، المجلد الأول، ص ٣٩.

(١١) الداودار بيبيرس المنصور، مختار الأخبار في تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك، ابوبكر بن عبدالله ابن أبيك، (٧١٣هـ)، كثر الدرر وجامع الغرر، تحقيق: هانس روبرت ويمر، مصادرة التاريخ مصر الإسلامية، القاهرة ١٩٦٠م، الجزء الثامن، ص ٢١٨.

ويتجلى ذلك عندما فكر الطاغية "هولاكو" بن تولوي بن جنكيز خان في الهجوم على بغداد بعدما كاتبه الخائن الرافضي "ابن العلقمي" وزير الشؤم ببغداد وطلب منه الحضور، وكان "مانغو بن تولوي" أخو "هولاكو" هو الخان الأكبر لجميع التنار، وقد نال هذا المنصب بمساعدة قوية من "باتو" الأخ الأكبر لـ "بركة خان"، وحاول "هولاكو" إقناع أخيه الأكبر "مانغو" بهذه الفكرة، وبالفعل وافق "مانغو" على الفكرة، ورحب بالهجوم على باقي بلاد المسلمين، وبدأ "هولاكو" في الإعداد لذلك، وما أن وصلت الأخبار إلى "بركة خان" حتى التهبت مشاعره وأسرع إلى أخيه "باتو" وألح على أخيه في منع الهجوم على المسلمين وقال له: "إن نحن أقمنا مانغو خائناً أعظم ما جازانا على ذلك، إلا أنه أراد أن يكافينا بالسوء في أصحابنا ويخفر ذمتنا ويتعرف إلى ممالك الخليفة وهو صاحبي وبينه مكاتبات وعقود ومودة وفي هذا ما لا يخفى من القبح". وبالفعل اقتنع "باتو" تماماً بكلام أخيه وبعث إلى "هولاكو" يكفه عما ينويه من قتال المسلمين وبالفعل أجّل "هولاكو" الهجوم على المسلمين حتى وفاة "باتو".^(١٢)

خامساً: محالفته للمماليك:

العجيب في إسلام "بركة خان" هذه الحالة الإيمانية الفائقة، وترسخ عقيدة الولاء والبراء في قلبه، وتجلى ذلك في كل مواقفه التي كانت تنبع من أصل هذه العقيدة السليمة النقية، فلقد دخل "بركة خان" في محالفة مع المماليك الذين بهروا العالم وأنفذوه في نفس الوقت عندما انتصروا على التنار في موقعة "عين جالوت" سنة ٦٥٨ هجرية.^(١٣)

وكثرت المراسلات والاتصالات بين السلطان "بيبرس" و"بركة خان" وكان لها أثر كبير في توجيه "بركة خان" لحرب "هولاكو" وأن هذا الأمر من مقتضيات الولاء والبراء، وبالفعل اتفق "بركة خان" و"بيبرس" على محاربة "هولاكو" وكتب "بركة خان" رسالة إلى "بيبرس" يقول له فيها: "قد علمت محبتي للإسلام، وعلمت ما فعل هولاكو بالمسلمين، فاركب أنت من ناحية حتى آتية أنا من الناحية الأخرى حتى نهزمه أو نخرجه من البلاد، وأعطيك جميع ما كان بيده من البلاد" الله، الله، عليك يا "بركة خان" ولاء وبراء مع تجرد وإخلاص، مع جهاد وزهد في الدنيا. وهكذا يكون الأبطال الذين تسطر أخبارهم بماء الذهب.^(١٤)

(١٢) سليمان بن حمد العودة، كيف دخل التنار بلاد الإسلام، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٣، الرياض، ٢٠٠٠، ص ١٤٧.

(١٣) سليمان بن حمد العودة، كيف دخل التنار بلاد الإسلام، مرجع سابق، ص ١٤٧.

(١٤) الداودار بيبرس المنصور، مختار الأخبار في تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك، أبو بكر بن عبدالله ابن أبيك، (٧١٣هـ)، كثر الدرر وجامع الغرر، تحقيق: هانس روبرت ويمر، مصادرة التاريخ مصر الإسلامية، القاهرة ١٩٦٠م، الجزء الثامن، ص ٢١٨.

سادساً: محاربته لهولاكو والتتار:

لم يكتف بركة خان بمناصرة المسلمين والدخول في جماعتهم وحلفهم، ولكن طبق عقيدة الولاء والبراء بشقيها وفي أنقى صورها، فلقد انقلب حرباً ضروساً على التتار الوثنيين عموماً، وعلى "هولاكو" خصوصاً حيث لم ينس "بركة خان" ما فعله "هولاكو" بالخلافة العباسية أبداً، وعندما اكتسح هولاكو بجحافل بغداد، حاول "بركة خان" بشتى الوسائل أن يوقف هذا المد الجارف الذي ينذر بمحو الإسلام من الوجود، ولكن لأن معظم جنوده كانوا ما زالوا على الوثنية فقد رفضوا الانصياع لأمره بمحاربة "هولاكو"؛ لأنهم بذلك سيخالفون الخان الأعظم للتتار، والذي قد وافق على الهجوم الهولاكي على بغداد. (١٥)

فأخذ "بركة خان" في اختلاق الذرائع والحجج لإشعال حرب ضد "هولاكو" ووجد ضالته في مسألة الغنائم حيث كان من عرف "جنكيز خان" القديم أن أسرة "جوجي" أو القبيلة الذهبية لها ثلث الغنائم التي يحصل عليها التتار جميعاً في أي معارك يخوضونها، وبالقطع لم تكن الغنائم دافعاً لبركة خان بل حبه للإسلام ورغبته في مقاتلة "هولاكو" الطاغية، فأرسل "بركة" رسلاً من طرفه وأمرهم أن يشتدوا ويغلظوا على "هولاكو" في السؤال، وبالفعل نجحت الحيلة واستشاط "هولاكو" غضباً وقتل رسل "بركة خان" وسير جيشاً لمحاربة "بركة خان" فانهزم جيش هولاكو شر هزيمة وذلك سنة ٦٦٠ هجرية، فعاود الهجوم مرة أخرى بجيش أكبر فانهزم جيش "بركة خان" وكان يقوده أحد قواده واسمه "توغاي". (١٦)

فأراد "هولاكو" أن يجهز بالكلية على "بركة خان" فأرسل جيشاً جراراً فيه معظم جنوده، يقودهم ابنه الخبيث "أباقا"، فخرج لهم "بركة خان" بنفسه على رأس الجيش ومزق جيش هولاكو شر تمزيق سنة ٦٦١ هجرية في منطقة القوقاز، ولم ينج منهم سوى القليل. (١٧)

المطلب الثالث: تفريقه لوحدة التتار الوثنيين وبداية الدعوة ورحيله:

أولاً: تفريقه لوحدة التتار الوثنيين:

عندما يكون للمرء هدف يعمل من أجله ويحيا في سبيل الوصول إليه فإنه عادة ما يصل إليه بإذن الله عز وجل، وبطلنا "بركة خان" كان يحيا من أجل نصرة الإسلام ومحاربة أعدائه، ولذلك نجده يعمل من أجل هذا الهدف على عدة محاور، فهو

(١٥) ابراهيم احمد العدوي، نهر التاريخ الإسلامي، منابعه العليا وفروعه العظمى، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ٣٩.

(١٦) م م الرمزي، تلفيق الأخبار، وتلفيق الآثار، في وقائع قازان وبلغار وملوك التتار، تحقيق: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ٢٠٠٢م، المجلد الأول، ص ٣٩.

(١٧) حمدي . حافظ ، الدولة الخوارزمية والمغول ، دار العلمية للطباعة والنشر، مصر : القاهرة، ١٩٩٧، ص ٢٤٢..

يحالف المسلمين المماليك ويحارب بني جلدته من التتار، وعمل أيضًا على محور شديد الخطورة وذلك بذكاء ودهاء محمود للوصول إلى تقنيات دولة التتار الوثنية وإضعافها. (١٨)

فقد استغل "بركة خان" خروج الخان الأعظم "مانغو" لقتال بعض الخارجين عليه معه أخوه "قبلاي" وترك أخاه الآخر "أرتق بوكا" مكانه لتسيير الأمور لحين عودته، فاستغل "بركة خان" وفاة "مانغو" في الطريق لإثارة الفتنة بين "أرتق بوكا" و"قبلاي"، حيث اتفق الجند والأمراء على تولية "قبلاي"، فأرسل "بركة خان" إلى "أرتق بوكا" بقوة عسكرية لمنازعة أخيه "قبلاي" على منصب الخانية العظمى (١٩). وحرص أيضًا أسرة "أوغطاي" على مساعدة "أرتق بوكا" ووقعت الحرب بينهما سنة ٦٥٨ هجرية وذلك قبل معركة "عين جالوت" بقليل مما جعل "هولاكو" يعود مسرعًا من الشام لفض النزاع، واستمرت الحروب بينهم عدة سنوات، وكان "بركة خان" في نفس الوقت يقنع ويحث كثيرًا من جنود "هولاكو" بالشام على الدخول في الإسلام والانضمام إلى جيش "بيبرس" وبالفعل أقنع الكثيرين منهم وتحولوا إلى حرب "هولاكو". (٢٠)

أما "هولاكو" فوجد أن كل البلايا والمعارك التي حدثت له وللتتار جميعًا كان سببها "بركة خان" فاشتد غيظه وحقده على "بركة خان" وحاول محاربته عدة مرات ولكنه هزم شر هزيمة، مما أشغل الغيظ في قلبه زيادة فطرح على عقله وجسده وأصيب بجلطة في المخ بعد وصول خبر هزيمة ولده "أباقا" أمام "بركة خان" سنة ٦٦١ هجرية، وظل يعاني من الصرع حتى هلك الهالك "هولاكو" سنة ٦٦٣ هجرية، فانتقم "بركة خان" للإسلام والمسلمين من هذا المجرم الطاغية الذي دمر دولة الخلافة الإسلامية وسفك دم الملايين من المسلمين. (٢١)

ثانيًا: انتشار الإسلام بين التتار:

قبل أن ينجرف العالم الإسلامي مع هذا السيل الجارف العنيد، وينطمس معالمه وملامحه، كما كان المشاهد الملموس عند ذوي البصيرة والخبرة من المؤرخين المسلمين في ذلك الحين، بدأت دعوة الإسلام تنتشر فجأة في هذا الشعب، ويتحقق

(١٨) سليمان بن حمد العودة، كيف دخل التتار بلاد الإسلام، مرجع سابق، ٢٠٠٠، ص ١٤٧.

(١٩) رؤوف، عماد عبد السلام، حكام العراق وموظفوه في العهد الإليخاني، مجلة المؤرخ العربي، العدد (١١)، بغداد، ١٩٧٩م، ص ٧٩.

(٢٠) حمدي. حافظ، الدولة الخوارزمية والمغول، دار العلمية للطباعة والنشر، مصر: القاهرة، ١٩٩٧، ص ٢٤٢..

(٢١) سليمان بن حمد العودة، كيف دخل التتار بلاد الإسلام، مرجع سابق، ٢٠٠٠، ص ١٤٧.

على أيدي دعاة الإسلام ما لم يتحقق بالأسنة والرماح، وبطش السلاطين والملوك، وبدأ الإسلام يتسرب في نفوس أعدائه، ويأخذ بمجامع قلوبهم^(٢٢).

إن خضوع هذا الشعب الذي قهر المسلمين أمام الإسلام من أغرب الوقائع والأحداث في التاريخ، فإن هجوم التتر على العالم الإسلامي كالجراد المنتشر، وإخضاع العالم الإسلامي كله، ليس من الغريب المدهش كما يبدو في الظاهر، فإن عالم الإسلام في القرن السابع كان بدوره مصابًا بتلك الأمراض والأسقام، التي تلحق الأمم عامة في أوج حضارتها وشوكتها، وبالعكس من التتر، ذلك الشعب القوى الأبوي الذي نشأ على حياة البداوة، والهمجية والضرارة^(٢٣).

ولكن الغريب المدهش أن هذا الشعب خضع للمسلمين. المفتوحين المقهورين، واعتنق دينهم في أوج قوته، وذروة سلطانه، ذلك الدين الذي فقد كثيرًا من سلطانه السياسي والمادي آنذاك،” وكان أتباعه موضع سخرية واحتقار في نظر التتار، كان من أشهر من تحدثوا عن هذا الأمر أحد المؤرخين المعروفين، وهو توماس أرنولد حيث قدم كتابا يشرح فيه هذا التحول الغريب و كان من بين سطور هذا الكتاب، استغرابه الشديد لقدرة المسلمين على مناهضة ذلك المنافس القوي، و الذي اتسمت علاقته بالمسلمين بالمعارك الضارية، فكان من الطبيعي أن تزداد قلوبهم قسوة ضد المسلمين لا أن تميل لهم^(٢٤).

ولدينهم، على الرغم من أن جنكيز خان كان متسامحًا في العديد من الديانات، و يتقبل هذا الاختلاف إلا أنه كان شديد العنصرية ضد المسلمين، و قد عمل على عقاب كافة من يتبعوا طريقة المسلمين في الذبح مثلاً، حينما أوقعوا المغول بالمسلمين ظهرت العديد من الصفات الإسلامية السمحة^(٢٥).

تلك التي احتكوا بها وعاصروها طوال فترة محاولتهم لهدم الحضارة الإسلامية و السيطرة على بلاد المسلمين، كان أول من أسلم في صفوف المغول بركة خان، أحد من تولوا الحكم بعد موت جنكيز خان، و قد أسلم بعد أن التقى ببعض التجار المسلمين و بعد ذلك انضم لصفوف المسلمين، التي تتبع ركن الدين الظاهر ببيرس، و قد استقبلهم ببيرس بالحفاوة و التكريم و تعلموا أصول الدين على يد المصريين، و

(٢٢) الصياد، فؤاد عبد المعطي، مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمداني، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٣٤.

(٢٣) جوزيف، نسيم يوسف، دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والمغرب في العصور الوسطى، دار الإسكندرية للطباعة والنشر، مصر، ط ٣، ٢٠٠١، ص ١٩٢.

(٢٤) حمدي، حافظ، الدولة الخوارزمية والمغول، دار العلمية للطباعة والنشر، مصر: القاهرة، ١٩٩٧، ص ٢٤٢.

(٢٥) بارتولد، فاسلي، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة احمد السعيد سليمان، دار الإسكندرية للطباعة والنشر، مصر، ط ٢، ١٩٩٨، ص ٢١٨.

انضموا لصفوفهم محاربين المغول و قد كان ذلك داعماً قوياً للمسلمين ، فيما بعد في الوقوف في وجه المغول و صد هجماتهم المرعبة.^(٢٦)

ثالثاً: من هم المغول:

يعرف المغول بأنهم قبائل رعوية يعود أصلها إلى منطقة الصحراء في أقصى شمال الصين، وقد كانت لهم ديانات مختلفة، من بينها ديانة الشامانية، وهي دين بدائي يتميز بالاعتقاد بوجود عالم محجوب هو عالم الآلهة والشياطين، ويمارس كهنتهم السحر لعلاج المرضى والسيطرة على الأحداث، علاوة على عبادتهم، الأوثان والشمس.

وكانت لقبائل المغول إمبراطورية قوية، حيث عرف جيشهم بالتتار، الذي غزا العالم، خاصة في القرن الـ ١٣، في عهد القائد القوي ”جنكيز خان“، والذي سيكون من صلبه “بركة خان“، أول حاكم مغولي اعتنق الإسلام.^(٢٧)

رابعاً: السلطان بركة خان الحفيد المسلم:

هو بركة خان بن جوجي بن جنكيز خان القائد الماغولي المعروف ، ويعتبر كذلك أبن عم هولاكو خان الذي اجتاحت جيوش المغول تحت قيادته بغداد وأنهت الخلافة العباسية، ولد بركة في منطقة برخان خلدون في منغوليا حالياً عام ١٢٠٩م، ويعتبر بركة واحد من ٧ أبناء لأبيه ، وهم : باتو ، أوردا ، شوبان ، بركة ، جمتاى ، بركجار ، توقاتيمر ، حيث ورث الأب.

الأكبر باتو منصب أبيه وأصبح زعيماً للقبيلة الذهبية ، وهي أول قبيلة من قبائل التتار إسلاماً وتعاطفاً مع المسلمين ، نشأ بركة كنشأة أى تنترى ، حيث كان على دين أهله ، فلم يكن للمغولي كتاب مقدس أو طقوس معينة ، بل كان خليطاً من الأرواحية التى تؤمن بتأليه الحيوانات وعبادة السلف والشامانية التى تقزم أساساً على السحر والشعوذة ، وكذلك جعلوا أرواحاً لعناصر كالنار والأرض والماء ولمواقع جغرافية مهيبة كالجبال ولظواهر طبيعية كالعواصف واعتقدوا بقدرة الشامان على التواصل مع هذه الأرواح حين يغشى عليه وبقدرته على التنقل فى عالمهم يساعد في العثور على الأرواح التائهة والأحداث الإلهية المستقبلية.^(٢٨)

للمطلع على تاريخ الحضارة الإسلامية في زمن الإمبراطورية المغولية، لا يمكنه أن يجهل “بركة خان“، وهو ابن “جوجي خان“ حاكم القوقاز، الإبن الأكبر للإمبراطور المغولي جنكيز خان الذي توفي سنة ١٢٢٧، بعد أن قام بتقسيم

(٢٦) الصياد، فؤاد عبد المعطي، المصدر السابق، ص ٣٧.

(٢٧) م م الرمزي، تليفق الأخبار، وتلفيح الآثار، في وقائع قازان وبلغار وملوك التتار، مرجع سابق، ص ٣٩

(٢٨) م م الرمزي، تليفق الأخبار، وتلفيح الآثار، في وقائع قازان وبلغار وملوك التتار، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ٢٠٠٢م، المجلد الأول، ص ٣٩

إمبراطوريته العظيمة على أبنائه الأربعة “جوجي خان” و “جغتاي خان” و “أوقطاي خان” و “تولي خان.”^(٢٩)

خامساً: دخول السلطان بركة خان للإسلام:

وبفضل بركة خان، الذي كان زعيم القبيلة الذهبية، عرفت الإمبراطورية المغولية الدين الإسلامي، وذلك في سنة ٦٥٠ هجري، ١٢٥٢ ميلادي.

تروي المراجع التاريخية، أن الحاكم المغولي، قد أسلم تأثراً بالعالم المسلم “نجم الدين مختار الزاهدي”، وهو عالم من أعلام “خوارزم” وهي إحدى المدن التابعة لأوزبكستان، عرف بالتصوف والفقه وسعة العلم، وكان يلقب بـ “صانع الأولياء”، وأثناء وجوده في مدينة سراي-جوك، في أقصى غرب كازاخستان الحديثة، التقى به “بركة خان”، وأخذ يستفسر عن العقيدة الإسلامية، وطلب منه في الأثناء أن يؤلف له رسالة حول الدين الإسلامي، وتوضح بالبراهين بطلان عقائد التتار.^(٣٠)

وفعلاً استجاب العالم المسلم المتزهد لطلب حاكم المغول وألف رسالة “الزاهدي”، التي اعتنق على أثرها القائد المغولي الدين الإسلامي الحنيف، الذي تبع طريق هداة شقيقه تيمور خان، لينتشر بعد ذلك الإسلام في كامل الإمبراطورية العظمى.

فيما ذكرت مراجع أخرى، أن بركة خان، قد أسلم تأثراً بزوجة أبيه “رسالة”، التي كانت معتنقة الإسلام، بفضل انتشاره في المناطق المجاورة التي تحكمها “إمبراطورية خوارزمي” المسلمة.^(٣١)

سادساً: بداية الدعوة:

لم يقتصر إسلام بركة خان على أسرته الحاكمة، بل قرر أن ينشر هذا الدين القيم، في كامل ربوع مملكته، لذلك انطلق في إرسال، رسله إلى عدة أقطار للدعوة إلى الإسلام، وكانت حينها إمبراطورية التتار تمثل الفرع الأكبر للمسلمين.

ومن ثمة أرسل بركة خان إلى الخليفة العباسي المستعصم بيبايه، كما أخذ في إظهار شعائر الإسلام، فبنى مدينة سراي، الواقعة مكان مدينة سراتوف على نهر الفولجا، والتي ماتزال معالمها وآثارها إلى يومنا هذا، خير شاهد على الحضارة الإسلامية في تلك البلاد.^(٣٢)

(٢٩) محمود ماهر حمادة، وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي (١٠٥٦، ١٤٠٤م)، منشور مؤسسة الرسالة، ط٢ بيروت، ١٩٨٢م، ص ٧٥.

(٣٠) م م الرمزي، تلفيق الأخبار، وتلفيق الآثار، في وقائع قازان وبلغار وملوك التتار، مرجع سابق، ص ٣٩.

(٣١) م م الرمزي، تلفيق الأخبار، وتلفيق الآثار، في وقائع قازان وبلغار وملوك التتار، مرجع سابق، ص ٣٩.

(٣٢) محمود ماهر حمادة، وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي، مرجع سابق، ص ٧٥.



وجعل من هذه المدينة عاصمة القبيلة الذهبية، وشيد فيها المساجد والحمامات، حتى باتت من أكبر مدن العالم في ذلك الزمان وجعلها على السمت الإسلامي الخالص. جاء إسلام بركة وتوليها الحكم في فترة كان المغول فيها هم الكابوس المفرع للبشرية بشكل عام وللمسلمين خاصة، ودخل في حرب كبيرة وصراع مع ابن عمه "هولاكو"، الذي كان يهاجم بلاد المسلمين، من ذلك بغداد التي دخلها عام ١٢٥٨م. وتذكر المراجع، أن "بركة خان، قد قام بإقناع أخيه "باتو"، بأن المسلمين أصدقاء له وبينه وبينهم معاهدات ومراسلات، وأقنعه بترك الحرب عليهم. وطوال فترة حكمه لم يتوقف الحاكم المغولي بركة خان على الحدث على نشر الإسلام وخاصة في صفوف الجنود والجيوش، إلى حين وفاته سنة ١٢٦٦م. **سابعاً: رحيل البطل السلطان بركة خان:**

ظل "بركة خان" طوال حياته مجاهداً مناصراً للإسلام والمسلمين في كل موطن وعلى عدة محاور، تشغله قضية الإسلام وتلهب مشاعره ويهتز قلبه من أجل خدمة هذا الدين، لذلك كان من الطبيعي أن يموت هذا البطل على درب النصر والجهاد، فبعدما هلك الطاغية "هولاكو" من شدة الغيظ والحقد على ما جرى على يد "بركة خان" ورث مكانه ابنه "أباقا" وورث عنه أيضاً الحقد والحسد على بركة خان، خاصة أن "بركة" قد هزمه هزيمة كبيرة سنة ٦٦١ هجرية، لذلك فكانت محاربة "بركة" هي أولى خطوات وقرارات "أباقا بن هولاكو". وبالفعل أعد "أباقا" جيشاً جراراً لمحاربة "بركة" وأرسل بركة أولاً قائده "توغاي" ولكنه هزم وأصيب بسهم في عينه، وكان "بركة خان" يحب "توغاي" لإسلامه وجهاده مع "بركة" في كل موطن، فخرج "بركة خان" بنفسه للقاء "أباقا" وفي نيته محاربة عدو الإسلام وإزالة هذا الفرع الخبيث من شجرة التتار التي بدأت تتحول للإسلام شيئاً فشيئاً، وفي الطريق أتاه اليقين وتوفي البطل العظيم مجاهداً مناصراً سنة ٦٦٥ هجرية بعدما قضى حياته الحقيقية خمس عشرة سنة في خدمة الإسلام ومحبة المسلمين ومحاربة لأعداء الإسلام حتى مات رحمه الله، وبلى بالمغفرة ثراه على نية الجهاد، ولم يكن له أولاد ولم يترك ذرية ولكنه ترك سجلاً حافلاً في العمل للدين والفهم الصحيح لعقيدة الولاء والبراء، حتى إن السلطان المملوكي الظاهر "بيبرس" قد سمى ولده الأكبر "بركة خان" حباً في شخصية هذا البطل العظيم والذي وبمنتهاى الأسف والأسى لا يعرفه معظم المسلمين الآن.

المبحث الثاني: جهود السلطان احمد تكودار الدعوية (683 - 681هـ) - (1282-1284م):

المطلب الأول: التعريف ب السلطان احمد تكودار:
أولاً: من هو تكودار:

أحمد هو الابن السابع لهولاكو خان، أمه (قوتى خاتون) ، سلطاناخياني، أخو السلطان أباقا خان، اسمه لدى مولده كان نيكولاس تيكودار خان تمهيداً بالبابا

نيكولاس، كان مسيحياً يتبع كنيسة المشرق لأمه، تولى السلطة عام ١٢٨٢ م. (٣٣) وبعد توليه إياها مباشرة، اعتنق الإسلام حقيقة على يد نصير الدين الطوسي وأصبح اسمه أحمد نيكودر، له زوجات ومحظيات كثيرات. (٣٤)

السلطان أحمد تكودار بن هولاکو خان (٢٦ من المحرم ٦٨١ هـ - ٢٦ من جمادى الأولى ٦٨٣ هـ) ثالث سلاطين الدولة الإلخانية وأول من أسلم من الإلخانيين، كان على علاقة طيبة بالماليك بمصر والشام، إلى أن تأمر عليه المغول فقتلوه، فكان أول إيلخان مغولي يدفع حياته ثمناً لاعتناقه الإسلام.

ثمانية عشر عاماً تفصل بين وفاة هولاکو وإسلام ابنه تكودار؛ فقد تُوفي "هولاکو" في سنة (٦٦٣ هـ = ١٢٧٥ م) عن (٤٨) عاماً، بعد أن أسس دولةً كبيرة، قامت بالقهر والبغي، والغدر والوحشية، وبثّ الفزع والهلع في النفوس، وارتفعت على أنقاض دول إسلامية ذات مجدٍ وحضارةٍ ورفيٍّ ومدنيةٍ، وشملت إيران والعراق وآسيا الصغرى وسوريا. (٣٥)

أمّا تكودار فقد أسلم بعد أن تولى عرش سلطنة المغول الإلخانيين، في (٢٦ من المحرم ٦٨١ هـ = ٦ مايو ١٢٨٢ م) خلفاً لأخيه "أباقا خان". (٣٦)

وتكودار هو الابن السابع لهولاکو، وكان في الصين أثناء حملة أبيه على إيران والعراق والشام، ثم قَدِمَ إلى إيران في عهد سلطنة أخيه "أباقا خان" لمساعدته في إدارة شئون الدولة، وكان قد تنصّر في طفولته، وتعَمَّد في صباه، غير أنَّ هواه كان مع المسلمين.

وحول الإلخانية إلى سلطنة، عمل على تحسين العلاقات المتوترة بين دولته ودولة المماليك، فأرسل وفداً إلى السلطان المنصور قلاوون في مصر في جمادى الآخرة ٦٨١ هـ/سبتمبر ١٢٨٢ م يضم شيخ الإسلام كمال الدين عبد الرحمن الرافعي والعلامة قطب الدين الشيرازي قاضي مدينة سيواس، وبهاء الدين أتابك مسعود سلطان سلاجقة الروم، حمل الوفد رسالة تخبر قلاوون بإسلام تكودر ورغبته

(٣٣) الهمذاني . رشيد الدين فضل الله ، جامع التواريخ (تاريخ أبناء هولاکو) ، ج ٢، دار الإسكندرية للطباعة والنشر ، مصر : القاهرة ، ط ٢، ٢٠٠٨، ص ٢٤٤.

(٣٤) حمدي . حافظ ، المصدر السابق ، ص ٢٤١.

(٣٥) م م الرمزي، تلفيق الأخبار، وتلفيق الآثار، في وقائع قازان وبلغار وملوك التتار، تحقيق: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ٢٠٠٢ م، المجلد الأول، ص ٣٩.

(٣٦) الداودار بيبيرس المنصور، مختار الأخبار في تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك، ابوبكر بن عبدالله ابن أبيك، (٧١٣ هـ)، كثر الدرر وجامع الغرر، تحقيق: هانس روبرت ويمر، مصادرة التاريخ مصر الإسلامية، القاهرة ١٩٦٠ م، الجزء الثامن، ص ٢١٨.

في أن تتسم العلاقات بين الدولتين بحسن الجوار والهدوء والسلام أغضب اسلام تكودر قادة المغول فشكوه إلى الخان. (٣٧)

واعتبروا جهود تكودر في إقامة علاقات ودية مع المماليك خروجاً على قرار مجلس شورى المغول القوريلتاي القاضي بإرسال حملة جديدة إلى سوريا ومصر، بعد تكرار هزائم المغول أمام المماليك، تزعم جبهة المعارضة الداخلية ابن أخيه البوذي أرجون خان بن أباقا خان، واتخذ من خراسان مركزاً له، وكان ذلك كله بتأييد أمراء المغول، تواجه الطرفان في معركة طاحنة في ٣ صفر ٦٨٣ هـ/ ٢١ إبريل ١٢٨٤ م، وتمكن تكودر من تحقيق نصر كبير على ابن أخيه، وأوقعه أسيراً في يده، وقد استنجد أحمد تكودر بالسلطان قلاوون، فلم يجبه. (٣٨)

بعد هزيمة أرغون قام أمراء المغول بالاتفاق على خلع تكودر من الحكم، وتخليص أرغون من الأسر، وتنصيب هولأكو بن هولأكو إلخانا على إيران، قتل العديد من الأمراء الموالين لتوكدر في معركة نفذها أمراء المغول، وخلص أرغون من الأسر وفر تكودر من خراسان إلى أذربيجان عله يتمكن من جمع قواته ومعاودة القتال مع خصمه. على خلاف ما قرره. (٣٩)

ثانياً: إسلام السلطان أحمد تكودار بن هولأكو:

وما إن ولي تكودار عرش الدولة حتى أعلن إسلامه على مذهب أهل السنة والجماعة، وتسمى باسم أحمد تكودار، فكان أول إيلخاني يعتنق الإسلام، وبذل جهداً محموداً في إسلام المغول، فأسلم على يديه كثيرٌ منهم، وتهذبت طباعهم وحسنت أخلاقهم، وهم الذين أفزعوا الدنيا بهمجيئهم وسلوكهم الوحشي. (٤٠)

وقد استقبل العالم الإسلامي نبأ إسلام تكودار بارتياح شديد، خاصة منطقة إيران، وعزز من ارتياحهم وشعورهم بالرضى أن سلوك تكودار كان يُظهر إخلاصاً وتمسكاً بالدين الإسلامي؛ إذ أرسل كتباً إلى فقهاء بغداد يُخبرهم فيها بإسلامه، ورغبته الصادقة في حماية الإسلام والدفاع عنه، وقد استقبل علماء بغداد إسلام الإيلخان بفرح

(٣٧) رؤوف، عماد عبد السلام، حكام العراق وموظفوه في العهد الإيلخاني، مجلة المؤرخ العربي، العدد (١١)، بغداد، ١٩٧٩م، ص ٧٩.

(٣٨) حتى، فليب وزملانه، تاريخ العرب المطول، ترجمة محمد مبروك، دار العلم العربي، القاهرة، ط ٤، ١٩٨٨، ص ٣٣١.

(٣٩) بارتولد، فاسلي، المصدر السابق، ص ٢٢٢.

(٤٠) سليمان بن حمد العودة، كيف دخل التتار بلاد الإسلام، مرجع سابق، ٢٠٠٠، ص ١٤٧.

شديد، ظهر ذلك في ردّهم عليه؛ حيث عدّوه حامّي الإسلام والمسلمين، ونعتوه بناشر دين الله المبين.^(٤١)

المطلب الثاني: تسلم السلطان تكودار الحكم وعلاقته مع جيرانه: أولاً: تسلم السلطان أحمد تكودار الحكم :

بعد أن توفي اباقاخان كان الخواتين والأمراء والأنجال مشغولين بالعزاء في جغتاي ، وقدم احمد من كردستان ، وقبل وفاة اباقاخان ذهب نارذوى الاختاجي الذي كان شحنة تبريز لاستدعاء الامير ارغون لمهمة عاجلة ، وكان نفسه قد قدم مسرعاً الى تلك الناحية ، وفي نفس الوقت أوفدا شيكتور نويان أيضاً لاستدعاه ، وفي مدينه مراغه انضم الأمير نفر قليل، إلى الخواتين والأمراء ، فحملوا إليه الكاس عنواناً للعزاء في والده ، وقبل وصول الأمير أرغون كان الحاضرين من الأمراء والأنجال تكودار واجاي وقونقورتاي، وهولاكو وطغاتيمور وجوشكاب وكينشو وبايدو والخواتين والأمراء يتشاورون فيما بينهم بشأن من يقوم بمهمة الحكم^(٤٢)

ولما كان العرش شاغراً ، فأنهم كانوا يغشون أن يتطرق الخلل إلى شؤون المملكة إذا ما تنظروا وصول بقية الأمراء ، وفي مجلس شورى أمراء المغول ، اتفق راي الأمراء قونقورتاي وهولاكو وجوشكاب وكينشو وشيكتور نويان وسونجاق اغا وعرب واسيق وقرا بوقا مع طائفة أخرى على أن يكون احمد ملكاً ، أما اولجاي خاتون ومن معها من جماعة الأمراء فكانوا يريدون منكو تيمور، هذا على حين أن بوقا أخاه اروق واقبوقا وبقية المقربين إلى اباقاخان قالوا ” أن الأمير ارغون يمتاز على الجميع بالعقل والرأي والكياسة والسياسة ، فالملك جدير به ومناسب لشخصه ”، وفي تلك الاثناء وصل الخبر بوفاة الأمير منكو تيمور فارتاحت الأفئدة منه، وكانت قوتي خاتون تميل أيضاً إلى الأمير أرغون، وتعمل على توليه العرش .^(٤٣)

ثانياً: السلطان أحمد تكودار وجيرانه:

كان من أثر إسلام إيلخان المغول أن مالت نفسه إلى السلم مع جيرانه المسلمين، ورغب في إحلال الوفاق معهم محل الخصام والخلاف، فأرسل وفداً إلى السلطان المنصور قلاوون في مصر في (جمادى الآخرة ٦٨١هـ = سبتمبر ١٢٨٢م)، وضمّ هذا الوفد شيخ الإسلام كمال الدين عبد الرحمن الرافعي، والعلامة قطب الدين الشيرازي قاضي مدينة سيواس، وبهاء الدين أتابك مسعود سلطان سلاجقة الروم. وحمل الوفد رسالة للسلطان قلاوون تخبره بإسلام تكودار، ورغبته في إحياء الشريعة الإسلامية في المجتمع المغولي، وبما قام به من إصلاحات وبناء للمساجد والمدارس،

(٤١) ابراهيم احمد العدوي، نهر التاريخ الإسلامي، منابعه العليا وفروعه العظمى، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ٣٩ .

(٤٢) الصياد . عبد المعطي ، المصدر السابق ، ص ٢٢١ .

(٤٣) الهمذاني . رشيد الدين فضل الله ، المصدر السابق ، ص ٢٤٥ .

وتيسير سبل الحج، ورعاية شئون الحجاج، وحملت الرسالة رغبة تكودار في أن تنسّم العلاقات بين الدولتين بالهدوء والسلام وحسن الجوار، ورفضه لقرار مجلس شورى المغول (القوريلتاي) في إيفاد حملة عسكرية على بلاد الشام.^(٤٤) وقد ردّ السلطان قلاوون على تكودار برسالة في (شهر رمضان ٦٨١هـ = ديسمبر ١٢٨٢م) هنّأه فيه بدخول الإسلام، وأثنى على جهوده في تطبيق أحكام الإسلام، وطلب منه التحالف بين المماليك والمغول ضدّ الصليبيين.^(٤٥)

المطلب الثالث: رسالته إلى سلطان مصر المنصور قلاوون ولأهالي بغداد ونهايته:

أولاً: رسالة السلطان أحمد تكودار إلى سلطان مصر المنصور قلاوون:

ويندهش المرء حين يقرأ الرسالة التي بعث بها هولأكو إلى سلطان مصر سيف الدين قطز في سنة (٦٥٨هـ = ١٢٦٠م)، والرسالة التي بعث بها ابنه أحمد تكودار إلى سلطان مصر المنصور قلاوون في سنة (٦٨١هـ = ١٢٨٢م)؛ كانت الأولى تحمل كلّ ألوان الوعيد والتهديد، وتدعو سلطان المماليك إلى الخضوع والاستسلام، واستهلّها بقوله: "من ملك الملوك شرقاً وغرباً، القائد الأعظم، يعلم الملك المظفر وسائر أمراء دولته أنّنا نحن جند الله في أرضه، سلّطنا على من حلّ به غضبه..." وينتهيها بقوله: "فمن طلب حربنا ندم، ومن قصد أماننا سلم". على حين حملت الرسالة الأخرى كلّ معاني التقدير لسلطان مصر، وتبشّره بإسلام أمير المغول، وتدعوه إلى التحالف والتناصر ونبد الخلاف والخصام.^(٤٦)

والفارق بين الموقفين يُوضّح بجلاء كيف أثر الإسلام في تهذيب طباع المغولي وتقويم خلقه، فلم يعد ذلك الهمجي الذي يضع كلّ همّة في سفك الدماء وتخريب البلاد، وأصبح يرى المسلمين إخوته ويجب أن يحل بينهم الوئام.^(٤٧)

ثانياً: رسالة أحمد تكودار إلى أهالي بغداد :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وأنا جلسنا على كرسي الملك، ونحن مسلمون، فيتلقون أهل بغداد هذه البشرى، ويعتمدون في المدارس والوقوف وجميع وجوه ما كان يعتمد في أيام خلفاء العباسيين، ويرجع كل ذي حق إلى حقه في أوقاف المساجد والمدارس، ولا يخرجون عن القواعد الإسلامية، وانتم يا أهل بغداد

(٤٤) م م الرمزي، تلفيق الأخبار، وتلقيح الآثار، في وقائع قازان وبلغار وملوك التنثار، مرجع سابق، ص ٣٩

(٤٥) سليمان بن حمد العودة، كيف دخل التنثار بلاد الإسلام، مرجع سابق، ٢٠٠٠، ص ١٠٧.

(٤٦) إبراهيم احمد العدوي، نهر التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص ٣٩.

(٤٧) الداودار بيبيرس المنصور، مختار الأخبار في تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك، ابوبكر بن عبدالله ابن أبيك، (٧١٣هـ)، كثر الدرر وجامع الغرر، تحقيق: هانس روبرت ويمر، مصادرة التاريخ مصر الإسلامية، القاهرة ١٩٦٠م، الجزء الثامن، ص ٢١٨

مسلمون ، وسمعنا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : لا تبرح هذه العصابة الإسلامية مستظهرة إلى يوم القيامة، وقد عرفنا أن هذا الخبر خبر صحيح ورسول صحيح، ورب واحد فرد صمد فتطيبون قلوبكم وتكتبون إلى البلاد جميعاً. (٤٨)

رابعاً: نهاية السلطان أحمد تكودار:

لم يلق اتجاه السلطان أحمد تكودار نحو السلم والمصالحة مع المماليك ترحيباً من قادة المغول، فشكوه إلى الخان الأعظم "قوبيلاي"، وعدوا مراسلة تكودار لسلطان المماليك، وجهوده في إقامة علاقات ودية معهم خروجاً على قرار مجلس شورى المغول (القوريلتاي) بإرسال حملة جديدة إلى سوريا ومصر، بعد تكرار هزائم المغول أمام المماليك. (٤٩)

تجمعت كل هذه العوامل بالإضافة إلى إسلام تكودار لشسهم في تكوين جبهة مضادة لتلك السياسة الجديدة، وتزعّم تلك الجبهة ابن أخيه "أرغون بن أباخان"، واتخذ من خراسان ثغراً لقيادته ومعسكرًا لتعبئة جنوده واستقبال أنصاره، وكان ذلك بتأييد من الخاقان "قوبيلاي" وأمراء البيت المغولي، وما إن استكمل عدته وعتاده حتى تقدّم لقتال عمه، واشتبك الطرفان في معركة طاحنة في (٣ من صفر ٦٨٣هـ= ٢١ من إبريل ١٢٨٤م)، وتمكّن تكودار من تحقيق نصر كبير على ابن أخيه، وأوقعه أسيراً في يده. (٥٠)

ولما كان هذا النصر على غير هوى أمراء البيت الحاكم وقادة المغول فقد اجتمعوا وقرّروا خلع تكودار من الحكم، وتخليص أرغون من الأسر، وتنصيب "هولاكو" بن هولاكو إيلخائاً على إيران، وتمّت الخطة، وتخلّص أرغون من الأسر بعد معركة سريعة بين قوّات تكودار والمتأمّرين عليه، قُتل فيها كثيرٌ من الأمراء الموالين لتكودار الذي فرّ من خراسان إلى أذربيجان لعلّه يتمكّن من جمع قوّاته ومعاودة القتال مع خصمه.

وعلى خلاف ما قرّره البيت المغولي الحاكم من تعيين هولاكو إيلخائاً على إيران فقد نُصّب أرغون بدلاً منه، وبعد تنصيبه توجه لقتال عمه، وقبل أن يصل إلى أذربيجان قام جماعة من أتباع تكودار نفسه بتسليمه إلى أرغون بعد أن رأوا ارتفاع كفته وازدياد قوّته، فلم يتوان في إعدامه في (٢٦ من جمادى الأولى ٦٨٣هـ= ١٠ من

(٤٨) سليمان بن حمد العودة، كيف دخل التتار بلاد الإسلام، مرجع سابق، ٢٠٠٠، ص ١٠٧.

(٤٩) إبراهيم احمد العدوي، نهر التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص ٣٩.

(٥٠) م م الرمزي، تلفيق الأخبار، وتلفيق الآثار، في وقائع قازان وبلغار وملوك التتار، مرجع سابق، ص ٣٩.

أغسطس ١٢٨٤م)، وباستشهاده يكون أحمد تكودار أول إيلخان مغولي يدفع حياته ثمناً لا اعتناقه للإسلام.^(٥١)

المبحث الثالث: جهود السلطان محمود غازان الدعوية (703-694هـ) (١٢٩٥-١٣٠٤م):

المطلب الأول: التعريف بالسلطان محمود غازان وإسلامه:
أولاً: من هو السلطان محمود غازان:

محمود غازان بن أرغون (١٢٧١-١٣٠٤) (بالمنغولية: Газан)، (بالصينية: 合贊) سابع سلاطين الإلخانية في إيران، (٥٢) حكم ما بين سنة ١٢٩٥ حتى وفاته ١٣٠٤م. وهو ابن أرغون خان وزوجته قوتلوق خاتون، وهو من سلالة ملكية تنتهي إلى جنكيز خان. ويعتبر بأنه أبرز ملوك دولة الإلخانات وأقواهم، وهو من طراز جده هولاكو وأباقا، وقد اعتنق الإسلام سنة ٦٩٤ هـ / ١٢٩٥ م قبل توليه الحكم، مما اعتبر أنها نقطة تحول بالنسبة لديانة المغول في آسيا الوسطى، وزوجته هي كوكيجين إحدى أميرات المغول وقد أرسلها إليه قوبلاي خان يرافقها ماركو بولو من العاصمة المنغولية إلى الإلخانات. ويعتبر عهد غازان هي الفترة التي تحول فيها المغول من حياة البدو إلى الاستقرار، وأصبحوا يندمجون ويذوبون في البيئة الجديدة التي عاشوا فيها. (٥٣) ويوصف غازان بأنه صاحب جثة صغيرة وشكل قبيح وفكر ثاقب محبا للعدل، وهو معروف عند المغول بعلمه وحكمته^(٥٤)

ثانياً: ميلاد السلطان محمود غازان:

ولد محمود غازان عام ١٢٧١، أي في نفس العام الذي هُزمت فيه جيوش جدّه أباقا خان على يد الظاهر بيبرس في معركة البيرة. ولد غازان في إيران، ولم يكن يعرف والده حين ولد ابنه في نفس عام هزيمته الكبرى على يد بيبرس أن ابنه سيكون أحد أبرز حكام الإلخانات المغول الذين حكموا إيران، بل لم يكن يعرف أن أول انتصارات المغول على دولة المماليك ستكون على يديه.^(٥٥)

(٥١) إبراهيم أحمد العدوي، نهر التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص ٣٩.
(٥٢) الداودار بيبرس المنصور، مختار الأخبار في تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك، ابوبكر بن عبدالله ابن أبيك، (٧١٣هـ)، كثر الدرر وجامع الغرر، تحقيق: هانس روبرت ويمر، مصادرة التاريخ مصر الإسلامية، القاهرة ١٩٦٠م، الجزء الثامن، ص ٢١٨.
(٥٣) السيد الباز العريني: المغول. دار النهضة العربية (بيروت). ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م. ص: ٣٢٤

(٥٤) موسوعة تاريخ إيران السياسي. د. حسن كريم الجاف. الدار العربية للموسوعات، بيروت. ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٨ م. ٣٠٣/٢-٣٠٥

(٥٥) السيد الباز العريني: المغول. مرجع سابق. ص: ٣٠٤

ثالثاً: إسلام السلطان محمود غازان:

شرح الله صدره للإسلام في (٤ من شعبان ٦٩٤هـ = ١٩ يوليو ١٢٩٤م)، وتسمى باسم "محمود"، وكان إسلامه سبباً في التفاف الرعية حوله، واعتناق ما يقرب من مائة ألف شخص من قومه الإسلام، وقد عجل هذا بالقضاء على خصمه الذي انفص الناس من حوله، وعجز عن المقاومة، فاضطر إلى الفرار، ثم سرعان ما قبض عليه، وقُتل في (٢٣ من ذي القعدة ٦٩٤هـ = ٤ من أكتوبر ١٢٩٥م) بعد حكم دام ستة أشهر.^(٥٦)

رابعاً: إظهار السلطان محمود غازان شعائر الإسلام:

وقد اشترط عليه الأمير نوروز أن يسلم إن كان يريد دعمه لمواجهة أخيه، فأسلم على يد الشيخ صدر الدين إبراهيم ابن الشيخ سعد الدين حمويه الجويني (٥٧) وتسمى باسم محمود، وبإسلامه اعتنق ما يقرب من مئة ألف شخص من قومه التتار الإسلام، (٥٨) وقد عجل هذا بالقضاء على خصمه. تخبر بعض المصادر أنه اعتنق الإسلام على يد وزيره العالم الفارسي رشيد الدين فضل الله همداني.^(٥٩)

خامساً: جعل السلطان محمود غازان الإسلام دين الدولة الرسمي:

تولّى السلطان محمود غازان عرش المغول عقب مقتل بايدو خان في (ذي الحجة ٦٩٤هـ = ١٢٩٥م)، وكان آنذاك في الرابعة والعشرين من عمره، وهو سابع حكام المغول في إيران "سلاطين الدولة الإيلخانية"، وكان أول عمل يقوم به إصداره مرسوماً ينص على أن الإسلام هو الدين الرسمي للدولة، والالتزام بأحكامه وآدابه، وأمر المغول بأن يُغيّروا ملابسهم المعروفة، ويلبسوا العمامة دليلاً على خضوعهم للإسلام.

ولكن غازان من وجهة أخرى حقّق إنجازات عظيمة صبّت في مصلحة دينه الجديد؛ إذ إنّه جعل الإسلام دين دولته الرسمي، وأصدر مرسوماً أمر فيه المغول باعتناق الإسلام، وزاد عدد المساجد، وأصبح قادة الجيش والقضاة من المسلمين، كما

(٥٦) انظر: جوزيف نيندهام، موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين، ترجمة محمد غريب جودة، القاهرة الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٥م، ص ٢٤.

(٥٧) تاريخ المغول العظام والإيلخانيين، د. محمد سهيل طقوش، دار النفائس، ط: الأولى.

س: ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧. ISBN 9953-18-434-8

(٥٨) المقرئزي، السلوك، ج ٢، ص (٣٧٤-٣٧٥)

(٥٩) رشيد الدين فضل الله همداني: (المعروف برشيد الدين الطبيب، مسلم مولود لأبوين يهوديين).

حارب الخمر والربا والبغاء، وخصّص اعتمادات مائيّة كبيرة للحج وأرسل كساء للكعبة. (٦٠)

سادساً: اصلاحات السلطان محمود غازان في زيادة الإنتاج:

في مجال الاصلاح سعى السلطان محمود غازان لتوفير الامن والاستقرار للفلاحين لكي لا يهجروا مزارعهم وقراهم نتيجة لسوء تصرف موظفي الدولة من جباة ورسول وغيرهم ، وعمل في الوقت نفسه على تشجيعهم على زيادة الانتاج الزراعي ، وذلك لغرض تسهيل عملية الجباية منهم وتقسيطها عليهم من ناحية ، واقامة مشاريع الري لهم من ناحية اخرى ، وكان نصيب العراق من هذه المشاريع اكثرها ، فضلاً عن ان سبب اجرائه لهذه الاصلاحات الى جانب اهميتها الزراعية . (٦١)

سابعاً: اصلاحات السلطان محمود غازان في الضرائب:

ومن اهم الاصلاحات الاقتصادية التي قام بها السلطان محمود غازان في العراق هو قيامه بتنظيم الضرائب ، إذ أكد ان جميع أعمال العراق مثل البصرة وواسط والحلة والكوفة والنيل والأعمال الفراتية ونهر الملك ونهر عيسى ودجيل وبعقوبة وطريق خراسان وغيرها كان خراجها على ثلاثة أنواع ، إذ فرض على بعضها خراج مقنن ، وأعطيت الأخرى بشكل ضمان ، بينما جعلت الأجزاء الأخرى الباقية بشكل أمانة بأسم أحد أرباب الدولة أو ملوك الاطراف أو أحد مشاهير العصر ، والصنف الاخير لم يكن إلا نوعاً من أنواع الاقطاع. (٦٢)

ثامناً: غيرة السلطان محمود غازان على المسلمين:

ووزع غازان في مناسبة إسلامه وانتصاره كثيراً من العطايا والأموال على المشايخ والعلماء، ونثر الذهب والفضة واللؤلؤ على الناس، ثم زار المساجد ومقابر الأولياء، ويعود الفضل الحقيقي في إسلام غازان إلى قائد جيشه نوروز الذي سلك معه أساليب متعدّدة لإقناعه باعتماد الإسلام، وتعلّم منه الآيات القرآنية والصلاة، فكان منه أن صام رمضان عام (٦٩٤هـ=١٢٩٥م).

المطلب الثالث: تفريق السلطان محمود غازان لوحدة التتار الوثنيين وتأثيره على الحياة العامة:

(٦٠) م م الرمزي، تلفيق الأخبار، وتلفيق الآثار، في وقائع قازان وبلغار وملوك التتار، تحقيق: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ٢٠٠٢م، المجلد الأول، ص ٣٩
(٦١) الهمداني جامع التواريخ، ج ٢، ص ١٣٨-١٣٩-١٥١-١٦١، ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول، ص ٣٦٤، الدواداري ، الدر الفاخر، ح ٣-ص ١١٢، عباس اقبال، تاريخ المغول، ص ٢٨٤.

(٦٢) الهمداني جامع التواريخ، مرجع سابق.

أولاً: تفريق السلطان محمود غازان لوحدة التتار الوثنيين:

سعى محمود غازان نحو تأكيد وتعميق هوية دولته الإسلامية؛ فبذل كل ما في وسعه لتحطيم كل ما هو وثني، فحطم معابد الوثنية بما فيها معبد أبيه الفخم الذي كان مثلاً لمعابد البوذية، وأخذ يصبغ إدارات الدولة بالصبغة الإسلامية، فجعل أعوانه من الوزراء والقواد والكتّاب والموظفين من المسلمين خاصة، كما أنه عهد إلى نوروز بمنصب أمير الأمراء وجعله قائداً عاماً للجيش. (٦٣)

ثانياً: السلطان محمود غازان وتأثيرات الحضارة الإسلامية:

نتيجة لاعتناق غازان الإسلام كان لا بُدَّ من تغيير سلوك المغول وقواعدهم ومقرراتهم؛ إذ لم يعد هناك مفرُّ من العدول عن العمل بقواعد إلياسا (قوانين مغولية) التي وضعها جنكيز خان، وترك عادات المغول وتقاليدهم القديمة، وهذا ما دفع غازان إلى إنجاز عظيم آخر، بوضعه ياسا جديدة عُرفت باسم "إلياسا الغازانية"، وكانت أرقى وأنسب للحياة الجديدة من ياسا جنكيز خان، وظهرت فيها تأثيرات الحضارة الإسلامية، حيث حول الإسلام القبائل الهمجية البربرية إلى أناس مهذبي الطباع، منظمين محبين للحضارة والعمران، وامتلأت قلوبهم رحمة وعطفاً حتى على الطيور والحيوانات. خصص اعتمادات مالية كثيرة للحج، كما أرسل كسوة للكعبة أمر بهدم الكنائس والمعابد اليهودية وتحويلها إلى مساجد، وأمر اليهود والنصارى بارتداء ثياب خاصة. (٦٤)

ثالثاً: السلطان محمود غازان وتأثيراته على الأسواق:

وأمر بتوحيد سلِك العملات، حيث كانت كل ولاية تسكُّ عملةً يختلف عيارها من ولايةٍ إلى أخرى؛ وهو ما سبَّب ضرراً للتجار، وأصدر قراراً بجمع كل العملات المغشوشة في كل البلاد الإيلخانية؛ فلم يرُج وينتشر سوى العملات التي أمر بضربها، وكما وُحِدَت العملات قام بتوحيد الأوزان والمكاييل في سائر الولايات، وكان التناقض في معايير الأوزان سبباً في انتكاس التجارة وعدم رغبة الناس في أن يحملوا تجارتهم إلى سائر الولايات. (٦٥)

رابعاً: السلطان محمود غازان وتأثيراته على الزراعة والقضاء:

وأصدر غازان أحكاماً لتعمير ما خرب من الأراضي البوار بأن يُجِدَّ الناس العمائر والمباني، ويزرعوا المزارع البائرة لقاء محصلة خاصة، وأمر بتأمين الطرق والحفاظ على أمنها وسلامتها، والقبض على قطاع الطرق وأن ينالوا جزاءهم وما يستحقون من التأنيب، وأصلح النظام القضائي؛ فعُني بتنظيم أمر المرافعات، واختيار

(٦٣) م م الرمزي، تلفيق الأخبار، وتلفيق الآثار، في وقائع قازان وبلغار وملوك التتار، تحقيق: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ٢٠٠٢م، المجلد الأول، ص ٣٩

(٦٤) ابراهيم احمد العدوي، نهر التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص ٣٩ .

(٦٥) المرجع السابق نفسه، ص ٣٩ .

القضاة والشهود. ولهذا يمثل عهد غازان الحقبة الذهبية للدولة الإيلخانية؛ للإصلاحات التي تمت في مجالات الإدارة والمال والاقتصاد والعمران.^(٦٦)

خامساً: وفاة السلطان محمود غازان:

عندما وصلت إلى غازان أنباء الهزيمة التي لاقاها جيشه في حملته الثالثة على الشام بقيادة "قتلغ شاه"، حزن حزناً شديداً واغتمت نفسه، واعتلت صحته، وأوصى وهو على فراش الموت الحاضرين بالتمسك بأهداب الدين الإسلامي الحنيف، والمحافظة على إصلاحاته التي قام بها، وحثهم على الالتفاف حول أخيه وولي عهده أولجايتو محمد، ونصحهم بضرورة الاتحاد والتآزر ونبذ الخلافات، ثم لم يلبث أن توفّي وهو في ريعان الشباب، لم يتجاوز الثالثة والثلاثين من عمره في (١١ شوال سنة ٧٠٣هـ=١٧ من مايو ١٣٠٣م)، ويُقَلّ جثمانه إلى تبريز؛ حيث دُفِن تحت القبة التي شيدها.^(٦٧)

الخاتمة:

وختاماً فسلطين التنار لهم جهود دعوية أسهمت في رفع راية الإسلام ، وهذا ما فضّل الباحثان اختياره من موضوعات؛ لما لذلك من أهمية كبيرة في الفترة الزاهنة، كما حاول قدر المستطاع تفصيل جهود كل سلطان على حدة، ومن باب الإنصاف فإن هناك الكثير من السلاطين في الحقب المختلفة لهم جهود دعوية عبر العصور على أرض الواقع، لأن هذه الدراسة لم تتناول إلا القليل واليسير جداً من الجهود، رغم ان الباحثان نشدا الكمال في ذلك، كما أن هناك كثير من الجوانب التي يمكن أن يُفصلها الباحثون والباحثات فيما يتعلّق بالجهود الدعوية للسلاطين التنار وغيرهم في أبحاثهم العلمية، ولم أتناول إلا القدر اليسير، وربما يكون هناك قصور في هذه الدراسة، ونحن بشرّ في النهاية، وأدعو الله أن يُوفّق باحثينا في جميع ما يُقدّمونه من معارف تُساهم في تخطّي السلبات التي نُعاني منها، وصلّى اللّهُم على سيّدنا مُحَمَّدٍ، وعلى آله وصحبه وسلّم.

توصلت الدراسة إلى عدد من أبرز النتائج أهمها:

١. الجهود الدعوية لها مشروعية من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وكذلك الإجماع والقياس على حد سواء.
٢. كشفت الدراسة أنه على الرغم من ترويع التنار للعالم إلا أن أحفادهم تأثروا بالإسلام والمسلمين، وهو مفخرة من مفاخر الإسلام والمسلمين.

(٦٦) السيد الباز العريني: المغول. دار النهضة العربية (بيروت). ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م. ص: ٣٢٤

(٦٧) م م الرمزي، تلفيق الأخبار، وتلفيق الآثار، في وقائع قازان وبلغار وملوك التنار، مرجع سابق، ص ٣٩

٣. توصلت الدراسة الى ان السلطان بركة خان طلب أن تؤلف له رسالة عن الإسلام تؤكد وتبرهن له بطلان عقيدة التتار والتثليث وترد على المخالفين للإسلام الأمر الذي يعني انه دخل الإسلام عن رغبة.
 ٤. مراسلة السلطان أحمد تكودار لأهالي بغداد وكذلك السلطان المنصور قلاوون حملة في طياتها رسائل دعوية اسلامية.
 ٥. رسائل السلطان احمد تكودار توضح بجلاء كيف أثر الإسلام في تهذيب طباع سلاطين التتار خصوصاً والمغول المسلمين عموماً.
 ٦. من جهود السلطان محمود غازان بعد إسلامه جعله الإسلام الدين الرسمي للدولة.
 ٧. يعتبر السلطان محمود غازان من المحتسبين حيث شملت جهوده الدعوية التأثير على الحضارة والأسواق والزراعة والقضاء.
- التوصيات: بناءً على ما سبق فإن الباحثان ويوصيان بما يلي:**
- (١) يوصي الباحثان بالعناية التامة في إختيار جهود التتار من العامة في نشر الإسلام والعلماء والمستشارين والفقهاء والكتابة عنهم.
 - (٢) الكتابة تأثير الإسلام في السلاطين عبر العصور الإسلامية المختلفة.
 - (٣) أن تراعي الدراسات والبحوث العلمية المحكمة ربط عالم الغيب بعالم الشهادة وهذا من صميم الدعوة والإحتساب.
- وصلّى اللهم وسلم وبارك على نبيك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع:

- (١) ابراهيم احمد العدوي، نهر التاريخ الإسلامي، منابعه العليا وفروعه العظمى، دار الفكر العربي، القاهرة .
- (٢) ابن تغري بردي (أبو المحاسن يوسف)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢م.
- (٣) ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور ، القاهرة ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، ١٩٩٨م.
- (٤) أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (ت ٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، (دار ومكتبة الهلال- بيروت، ١٩٨٨ م).
- (٥) اقبال . عباس ، تاريخ المغول ، مطبعة بغداد للطباعة والنشر، العراق ، بغداد ، ط٢، ١٩٩٥ م.
- (٦) بارتولد، فاسلي، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة احمد السعيد سليمان، دار الإسكندرية للطباعة والنشر ، مصر، ط٢، ١٩٩٨م .
- (٧) البداية والنهاية، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي المعروف بـ (ابن كثير) (ت ٧٧٤هـ)، الطبعة الأولى، (دار الفكر – بيروت، ١٣٤٨هـ - ١٣٥٨هـ).
- (٨) تاريخ المغول العظام والإيلخانيين، د. محمد سهيل طقوش، دار النفائس، الطبعة الأولى. س: ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- (٩) جعفر خصبك، العراق في عهد المغول الإيلخانيين (بغداد ١٩٦٨).
- (١٠) جمال الدين الشيال أستاذ التاريخ الإسلامي، تاريخ مصر الإسلامية، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٦م.
- (١١) جوزيف، نسيم يوسف ، دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والمغرب في العصور الوسطى، دار الإسكندرية للطباعة والنشر ، مصر ، ط٣، ٢٠٠١م.
- (١٢) حمدي . حافظ ، الدولة الخوارزمية والمغول ، دار العلمية للطباعة والنشر، مصر : القاهرة ، ١٩٩٧م.
- (١٣) خصبك ، جعفر حسين ، العراق في عهد المغول الإيلخانيين ، دار الحرية للطباعة والنشر ، بغداد ، ١٩٨٩م.
- (١٤) الداودار بييرس المنصور، مختار الأخبار في تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك ،ابوبكر بن عبدالله ابن أبيك ،(٧١٣هـ)، كثر الدرر وجامع الغرر، تحقيق: هانس روبرت ويمر، مصادرة التاريخ مصر الإسلامية، القاهرة ١٩٦٠م.
- (١٥) رشيد الدين فضل الله الهمذاني، جامع التواريخ، المجلد الثاني، نقله عن الفارسية محمد صادق نشأت وفؤاد عبد المعطي الصياد (القاهرة ١٩٦٠).
- (١٦) رؤوف. عماد عبد السلام، حكام العراق وموظفوه في العهد الإيلخاني، مجلة المؤرخ العربي، العدد (١١)، بغداد، ١٩٧٩م.

- (١٧) سليمان بن حمد العودة، كيف دخل التتار بلاد الإسلام، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٣، الرياض، ٢٠٠٠م.
- (١٨) السيد الباز العريني: المغول. دار النهضة العربية (بيروت) ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.
- (١٩) شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق: حسين أسد، مؤسسة الرسالة، سير أعلام النبلاء، (الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م).
- (٢٠) الصياد . عبد المعطي ، المغول في التاريخ ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، لبنان : بيروت، ١٩٨٩ م، ج ١.
- (٢١) الصياد، فؤاد عبد المعطي، مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمداني، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٩٤م.
- (٢٢) كارل . بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية والامبراطورية العربية وانحلالها، ج٢ ،ترجمة : نبيه امين فارس ، دار العلم للملايين ، لبنان : بيروت ، ط٣ ، ١٩٧٨م.
- (٢٣) الكامل في التاريخ، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى (دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م).
- (٢٤) الكيلاني . جمال، تاريخ الإسلام في العصور الوسطى ، مكتبة المصطفى للطباعة والنشر، القاهرة ، ٢٠١١م.
- (٢٥) م م الرمزي، تليفق الأخبار، وتلفيق الآثار، في وقائع قازان وبلغار وملوك التتار، تحقيق: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ٢٠٠٢م.
- (٢٦) مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ غلوي بن عبد القادر السقاف، الموسوعة التاريخية، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net، تم تحميله في/ ربيع الأول ١٤٣٣ هـ).
- (٢٧) محمود ماهر حمادة، وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي (١٠٥٦، ١٤٠٤م)، منشور مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، بيروت، ١٩٨٢م.
- (٢٨) موسوعة تاريخ إيران السياسي. د. حسن كريم الجاف. الدار العربية للموسوعات، بيروت. ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٨ م.
- (٢٩) الهمداني . رشيد الدين فضل الله ،جامع التواريخ دار النصر للطباعة الإسلامية.
- (٣٠) الهمداني . رشيد الدين فضل الله، جامع التواريخ (تاريخ ابناء هولاكو)، ج٢، دار الإسكندرية للطباعة والنشر ، مصر : القاهرة ، ط٢ ، ٢٠٠٨م.
- (٣١) واكيم، سليم، إمبراطورية على صهوات الجياد، دار الكتاب العربي، مصر : القاهرة ، ١٩٩٢م.